الدرس الحادي عشر/ تجريد التوحيد المفيد للمقريزي

قراءة الطالب: الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد: قال المصنف-رحمه الله تعالى-:

"وأما الشرك في الإرادات والنيات، فذلك البحر الذى لا ساحل له، وقلّ من ينجو منه؛ فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى؛ فلم يقم بحقيقة قوله:{إِيَّاكَ نَعْبُد}؛ فإن {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} هى الحنيفية ملة إبراهيم التى أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهى حقيقة الإسلام{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخرةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، فاستمسك بهذا الأصل، وردّ ما أخرجه المبتدعة والمشركون إليه تحقّق معنى الكلمة الإلهية".

الشيخ –حفظه الله–: إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله أما بعد:

تكلم المصنف –رحمه الله– تعالى عن الشرك الأصغر، وبدأ بالشرك في الألفاظ، ثم تكلم عن الشرك في الإرادات والنيات، والشرك في الإرادات والنيات هو الرياء، وهو المسمّى في بعض أحاديث رسول الله ﷺ :" الشرك الأصغر"، و"الشرك الخفي"، وسماه بعض السلف بـ "شرك السرائر"، وهذا الرياء –أسأل الله ﷻ أن يعيذنا وإياكم منه– محبط للأعمال، وقد أمر الأنبياء كلهم بأن تكون الطاعة لله ﷻ، وأن تكون خالصة له، قال الله ﷻ عن أهل الكتاب: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}

وما أُمر أهل الكتاب إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين، "حنفاء": حنفاء جمع حنيف والحنيف هو المائل عن الشرك، وسيأتي بيانه بعد قليل إن شاء الله، وهذا النوع من الشرك خفي يتسلل للإنسان ويجري على قلبه ولسانه، لغفلة منه، ولا ينجو منه أحد، إلا بفضل الله سبحانه وتعالى، {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ}، فالنجاة من شرك السرائر هو فضل من الله سبحانه وتعالى، ورد في حديث عند الحاكم في (المستدرك) فيه ضعف: "الشرك أخفى من دبيب الذر- أي النمل- على الصفا -أي الصخرة في الليلة الظلماء-"، وصح عن بعض السلف:" الشرك -أي الرياء- أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء"، فهذا النوع من الرياء -نسأل الله عز وجل العفو والعافية- يحتاج من صاحبه إلى مجاهدة، وإلى إخلاص وإلى استحضار النية قبل العمل، وفي أثناء العمل، وبعد العمل، وبعد العمل قد ينجو الإنسان من الرياء، فيقع في العجب وأن يرى نفسه، لذا قال بعض السلف: من قرأ {إياك نعبد}، ففيها براءة من الرياء، وفيها إخلاص، ومن قرأ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، ففيها استعانة بالله وبراءة من العجب، ألا يعجب الإنسان بعمله إن وفقه الله سبحانه وتعالى إلى عمل صالح يحبه الله سبحانه وتعالى، وأخرج أحمد في (المسند) عن محمود بن لبيد رضي الله عنه، وهو من صغار الصحابة، قال: قال ﷺ: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر" -سمّى النبي ﷺ الرياء، الشرك الأصغر- قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله، فقال ﷺ :الرياء" فالرياء شرك أصغر، أي النية والقلب يتجه إلى غير الله سبحانه، ولذا هو شرك لكنه ليس بمخرج من الملة، ولكنه كبيرة من الكبائر، وثبت عند الإمام أحمد أيضا أن النبي ﷺ قال: " ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من الدجال، قالوا بلى يا رسول الله فقال ﷺ: "الشرك الخفي"، فهنا سمّاه النبي ﷺ "الشرك الخفي"، وقبله "الشرك الأصغر"، فقال ﷺ: "الشرك الخفي" ثم، فسره ﷺ بأن قال: "أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل"، الذي يصلي الناس ينظرون إليه، فيزين صلاته، لو قمت للصلاة ونويت أن تزين صلاتك وأن تحسنها

وأن تطولها، فوقع في قلبك أن الناس ينظرون إليك، فالواجب عليك أن تبقى على نيتك الأولى، وألا تترك إحسان الصلاة من أجل الناس، فقد قال بعض السلف: " الرياء أن تعمل لغير الله، والشرك أن تترك العمل خوفاً من الناس"، هذا فيه معصية أشد من أن تفعل الشيء لغير الله، أن تترك الشيء مخافة الناس هذا أيضا رياء، ولذا الرياء أمره خطير، والرياء يكون في الأقوال، وفي الأفعال، ويكون وأنت ساكت، وأنت متكلم، ولذا صح عن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- أنه قال: " إن أعجبك حديثك فاسكت، وإن أعجبك سكوتك فتحدث"، ومن شأن الرياء أن المتكلم في الإخلاص قد يكون وقع في الرياء، وهذه مصيبة من المصائب أن يكون الذي يتكلم عن الإخلاص ويحذّر من الرياء قد وقع في الرياء والعياذ بالله تعالى، لذا ثبت عند النسائي بإسناد جيد أن النبي ﷺ قال: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتُغي به وجه الله تعالى"، فالعمل لا يقبله الله إلا بنيةٍ خالصة، نية المؤمن في الشرع أبلغ من عمله، الله يحاسبك على نيتك، من كرم الله تعالى إن عبدَ المسلم ربه يكون جزاؤه جنة خالداً مخلداً فيها، أما الكافر إن عصى الله ستين سنة، سبعين سنة، يكون مآله النار خالداً مخلداً فيها، والله جل في علاه لا يظلم وحرّم الظلم على نفسه، من كرم الله أن يجزي المؤمن الذي يعبد الله ستين أو سبعين سنة بجنة، لكن من عدله أن الذي يكفر بالله ستين أو سبعين سنة يخلد في النار لماذا؟ لأن هذا الكافر، الله حاسبه بنيته لا بعمله، لو كان الحساب بالعمل لعُذب ستين سنة، سبعين سنة بمقدار ما أشرك، لكن هو يبقى في النار خالدا مخلدا فيها إلى أبد الآباد لماذا؟ لأنه ما تحرك قلبه لطاعة الله، وهو ينوي أن يبقى كافراً عاصياً فاجراً يخالف أمر الله ﷻ ما دامت الحياة، لذا عومل بنيته لا بعمله، ولذا ورد هذا في حديث وروي عن سبعة من الصحابة وهو ضعيف، درستُ طرق الحديث كلها أسانيدها ضعيفة، وضعيفة جداً، والحديث إذا ورد من طرق ضعيفة جداً لا يتقوى بتعدد الطرق، وهو حديث: "نيةُ المؤمن خير من عمله"، لكن معناه صحيح لأن النية في الشرع مقدمة على العمل، كما قلت لكم مع المسلم ومع الكافر، تأمل معي حديثين وهما مهمان جداً،

وكلاهما في الصحيح: "أول ما تُسعر النار بثلاث يأتي الله بهما، يأتي بأحسن أعمال عملوها في الدنيا، يؤتى بالعالم -في رواية يؤتى بقارئ القرآن-، فيعرفه الله تعالى بنعمه فيعرّفها فيقول: ماذا فعلت؟ قال: يا رب تعلمت العلم وعلمته من أجلك، -أو قرأت القرآن وعلمته من أجلك-، فيقول الله تعالى له: كذبت، إنما تعلمت العلم ليقال عالم وقد قيل، ويؤتى بالكريم الذي ينفق أمواله فيعرّفه الله تعالى بنعمه فيعرفها فيقال: ماذا فعلت؟ قال: يا رب أنفقت مالي من أجلك، فيقول الله تعالى: كذبت، إنما أنفقت المال ليقال كريم وقد قيل، ثم يؤتى بالمجاهد، -انظروا إلى هذه الأعمال الثلاثة عالم، منفق، مجاهد-، فيعرفه الله تعالى بنعمه فيعرفها فيقول الله تعالى له: ماذا فعلت بهذه القوة؟ قال: يا رب جاهدت في سبيلك قال: كذبت، إنما جاهدت ليقال مجاهد وقد قيل، فيأمر الله تعالى بهؤلاء الثلاثة إلى النار فيكون أول من يدخلها"، هذه الأفعال ثلاثة أتوا بالصور، صورة العمل ولم يأتوا بحقيقة العمل، ولذا هلكوا، كان أبو هريرة لما يحدّث بهذا الحديث يغمى عليه، يخشى أن يكون منهم، -نسأل الله عز وجل أن يجيرنا، وأن يتكرم علينا بكرمه وفضله، بأن يعصمنا وأن يبعدنا عن الرياء-، ولذا النبي ﷺ كما علمنا كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئا أعلمه، وأستغفرك مما لا أعلمه"، فهذا الرياء مما لا يعلمه الإنسان، هذا الشرك الخفي، كان النبي ﷺ يتعوذ منه، انظر إلى الحديث الآخر عند البخاري: "إن الله يعجب من رجل تصدق ثلاث مرات، وفي الثلاث مرات لم يضع الصدقة في مكانها، استيقظ يريد يتصدق، وجد رجل يختبئ فوضع الصدقة في يده فكان لصاً، فأصبح الناس يقول تصدق على لص، ثم الليلة الثانية تصدق على رجل وكان غنياً، فأصبح الناس يقولون تصدق على غني، ثم الليلة الثالثة تصدق على امرأة مومس، فأصبح الناس يضحكون منه فالله عز وجل يعجب له"، والله عز وجل رضي عن عمله، نيته صالحة ولكن صدقته لم تضع في مكانها، ولذا قال أهل العلم: "من علامة الإخلاص الثبات على العمل"، هذا الرجل ثبت على الصدقة ونوّعها وأعادها مرة تلو المرة، فأتى بحقيقة العمل ولم يوفّق للفقير، ولكن بسبب إخلاصه عجب الله سبحانه وتعالى له، ولذا قال

أهل العلم: "أن النية أبلغ من العمل"، نية المؤمن أبلغ من عمله يعني لو أردت أن أشبه مع الفارق الكبير، حال الإنسان في القوانين الوضعية هذه الأيام، كجواز السفر، تخيل إنسان في الطائرة ما معه جواز سفر، أي مطار يستقبله وأي دولة تستقبله!! غير ممكن أن يستقبله أحد، أنت عند الله -مع الفارق الكبير- بنيتك، الله يحاسبك على نيتك، وماذا يخرج في صدرك، وماذا تريد، فأنت تسوى بمقدار النية التي تقابل الله تعالى بها، المؤمن الصادق همّه دينه همّه أن ينتشر دينه، وهمّه أن يرضي ربه سبحانه وتعالى ، فأنت عند الله بنيتك، تأتي عند الله قيمتك ومنزلتك على حسب نيتك، الخلاصة: الرياء والإخلاص متضادان، وبعبارة وجيزة سهلة، الإخلاص: النية الصالحة، والرياء: النية الفاسدة، لكن كيف يحصل الإنسان على الإخلاص، هذا فضل من الله عز وجل، الله جل في علاه يخصّ من يحب بالإخلاص، والإنسان إن جاهد نفسه على أن يكون مخلِصاً، وبقي على هذه المجاهدة، فينقلب حاله من أن يكون مخلِصاً -بكسر اللام- إلى أن يكون مخلَصا -بفتح اللام- الله من كرمه سبحانه وتعالى، يجازي بأكثر مما يفعل الإنسان، فإذا أصبحت مخلَصاً فالله جل في علاه يعصمك من وساوس الشيطان، كما قال الله عز وجل عن إبليس: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} وقال عن يوسف: {كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}، "المخلَصين"، ليس المخلِصين، الذي نجّى أو الذي برّأ يوسف من النساء من أنه همّ بالمرأة، إبليس أيضاً، لأنه قال: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} والله قال عن يوسف: {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}، فالإنسان يبدأ بكونه مخلِصاً وينتهي إلى أنه مخلَص، فالله لا يجازي مثلنا الشيء بالشيء، الله عز وجل كريم، غفور، شكور سبحانه وتعالى، العمل الصالح في شرعنا يحتاج إلى أمرين، الأمر الأول: النية، والأمر الثاني: الاتباع، أي عمل لا يقبله الله تعالى إلا بشرطين، الشرط الأول: أن يكون باعثك ونيتك خالصة لله سبحانه وتعالى ، وأن تصيب هدي النبي ﷺ، الأولى النية الصالحة، والثانية الإخلاص، وهذا هو المعني من قول الله عز وجل: {قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}، "متقين" جمعوا بين الإخلاص وبين إصابة العمل على سنة النبي ﷺ، قال الله عز وجل {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، {وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} أي: مخلص، فيعمل عملاً صالحاً على السنة و الاتباع، فالسنة والاتباع هما التقوى، وأخرج أحمد في (الزهد): " أن عمر ﵁ كان يدعو ويقول: "اللهم اجعل عملي صالحاً تبعاً لسنة نبيك ﷺ، اللهم اجعل عملي صالحا ولوجهك خالصاً، ولا تجعل منه لأحد شيئاً "، "صالحا": السنة، ثم قال: "ولوجهك خالصاً"، فهذه أمنية الصحابة والتابعين والصالحين والعابدين إلى يوم الدين، أن يتقبل الله تعالى منهم، القبول درجات، ليس قبول العمل على درجة واحدة، أعلى القبول أن تكون متبعاً وأن تكون مصيباً لهدي النبي ﷺ، لذا قال الناظم: "شرط قبول السعي- العمل- أن يجتمعا، فيه إصابة وإخلاص معا"، إصابة وإخلاص مع بعض مجتمعين، فالرياء نسأل الله عز وجل العفو والعافية يبطل العمل بالكلية، وهو الذي يخاف منه عباد الله تعالى الصالحين.

قال المؤلف: "وأما الشرك في الإرادات والنيات، فذلك البحر الذي لا ساحل له وقلّ من ينجو منه" إي والله! بحر لا ساحل له، لماذا بحر لا ساحل له؟ يدخل في جميع الأعمال، يدخل وأنت ساكت، يدخل وأنت تتكلم، وأكثر ما يظهر الرياء والعياذ بالله تعالى في الصلاة، والزكاة، لذا قال الله عز وجل: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ} أكثر مظاهر الرياء في الصلاة، أن يصلي الإنسان ويطيل الصلاة، ويحسّنها، ويكون قلبه منصرفاً لغير الله سبحانه وتعالى، حتى يقال أنه يصلي صلاة طويلة، وذكر الإمام ابن الجوزي قصتين جميلتين فيهما عمق لمن تدبرهما، أحدهما في كتاب: (أخبار الحمقى والمغفلين)، والثانية في كتابه: (تلبيس إبليس)، فذكر في (أخبار الحمقى والمغفلين): "رجل صلّى أمام الناس وطوّل الصلاة -ودخل في الصلاة وهو يريد السمعة والرياء، فسمع الناس وهو يصلي يطيل الصلاة وهو لا يريد الله، وهذا النوع لابد أن الله يفضحه هذه سنة لله عز وجل- ، فسمع الناس يثنون عليه، فأحسن صلاته – أنتعش وسر لأنه هذا الذي يريد، هو صلى من أجل هذا -ففضحه الله تعالى فقال وهو واقف: ومع هذا فأنا صائم"، فهو ليس فقط يصلي، بل هو صائم أيضاً، أما تلبيسات الشيطان تحدث

عنها ولا حرج، فذكر بتلبيسات الشيطان على الصائمين لما يقال للصائم: أفطر!، يذهب زائر فيقدم له الناس شيئاً ليشربه ضيافة على عادة الناس، فمن تلبيسات الشيطان عليه أن يقول لما يقدم له الشيء: اليوم الخميس، ما قال أنا صائم!، قال: اليوم الخميس، فأوهم السامع أنه يصوم كل يوم خميس، وهو مسكين ما صام إلا هذا اليوم، قل: أنا صائم ولا تقل اليوم الخميس، فهذه من تلبيسات الشيطان، فالشاهد أن الرياء يدخل والإنسان لا يشعر، وأن المرائي لا بد أن يفتضح في الدنيا، ولابد أن يفتضح في الآخرة بين يدي الله ﷻ، ولذا قال المؤلف: "فذلك البحر الذي لا ساحل له" الرياء بحر لا ساحل له، قال: "وقلّ من ينجو منه"، كيف الخلاص من الرياء؟ الخلاص من الرياء أن تكون لك خبيئة تفعلها ولا يعلمها أحد، وإذا وقعت في ورطة في حياتك، تذكر الخبيئة التي بينك وبينه، تقول: " يا رب إن كنت تعلم أن هذا من أجلك ففرج عني ما أنا فيه"، فالله من كرمه يفرج عنك، إيش يعني الخبيئة؟ تصوم ولا أحد يدري عنك، كان الصحابة إذا نام الرجل بجانب زوجه بلّ وسادته من دموعه خوفا من الله، وزوجته نائمة لا تشعر به، هذه الخبيئة كانت عند الصحابة، وكانت عند كبارهم، وكانت تُعرف بعد وفاتهم، يأتيه واحد فقير، امرأة عجوز، يأتيها أبو بكر وهو أمير المؤمنين، فـ يكنس بيتها قبل أن يبدأ بمشاكل المسلمين، يكنس بيتها، ويطبخ لها، ويهيئ طعامها، وهذه خبيئة بينه وبين الله، متى تظهر خبيئة أبي بكر، لما يموت أبو بكر، لما يموت ينقطع العمل، الخبيئة: كل طاعة بينك وبين الله لا يعرفها أحد، فهذه خبيئة وينبغي أن ينتبه الإنسان إلى هذه الخبيئة، وأن تجعل العمل سراً، ولذا النبي ﷺ والصحابة قلّ منهم من روي أنه صلى في المسجد إلا الفريضة، ما يعرفون صلاة النوافل في المسجد، لا القبلية ولا البعدية، كان النبي ﷺ يخرج من حجرته ليصلي الفريضة، والسنة القبلية يصليها في بيته، والسنة البعدية يصليها في بيته، فأن تجعل العمل فيه خفاء، وأن يكون سرك وحالك مع ربك خير من جهرك، لذا قال بعض أهل العلم انتبهوا لهذا الكلام!! قالوا: "من أكبر أسباب الثبات، الطاعة في الخلوات، ومن أشد أسباب الانتكاسات، المعصية في الخلوات" إن خلوت

بنفسك عصيت ربك، وأنت في ظاهرك أمام الناس من الصلحاء والأتقياء، فمن أكبر أعوان الثبات أن تطيع الله تعالى في الخلوات، وأن يكون سرك خيراً من جهرك، ومن أكبر أسباب الانتكاسات، المعصية في الخلوات، لما تخلو بربك، لذا ورد في الحديث عند البزار وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر قال النبي ﷺ: "يأتي أقوام يوم القيامة معهم حسنات -أو عندهم حسنات- مثل جبال تهامة، -سلسلة جبال- فتصبح هباءً منثورا" لأنهم كانوا إذا خلوا بأنفسهم عصوا الله عز وجل، فمعصية الله عز وجل في الخلوة سبب من أسباب الانتكاسات، وسبب من أسباب ضياع الحسنات، ولذا من أسباب الإخلاص النية، أن تستحضر العمل، واستحضارك للعمل يكون قبل فعله، وفي أثناء فعله، وبعد الفراغ منه، وإن وفّقت لعمل صالح فلا تحدث به، وليبقى بينك وبين الله عز وجل، موضوع النية الكلام عنها طويل وكثير وذكرنا المباحث التي تخص الفقه في شرحنا على منظومة الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى-.

قال المصنف: "فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى، فلم يقم بحقيقة قوله: {إياك نعبد}، -هذا ما عبد الله هذا عبد من رآءى له-، فإن {إياك نعبد} هي الحنيفية ملة إبراهيم"، إبراهيم عليه السلام مؤمن حنيف، والحنيف في اللغة مائل القدمين، مقوسات في العربية هذا يسمى "حنيف"، وإبراهيم حنيف، لأنه مائل، وميل إبراهيم، عن الشرك، وهذا مما أكرمه به الله جل في علاه، فالتوحيد والشرك نقيضان، قال: "فإن {إياك نعبد} هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم" وهو مخلص لله سبحانه وتعالى، {أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}، "أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين"، كان يقول النبي ﷺ هذا الدعاء كل صباح ومساء ثلاث مرات، فإبراهيم ما كان مشركاً، وما كان مرائياً، ولما أمر الله من قبلنا مخلصين له الدين قال: "حنفاء" ليس فقط مخلص مائل، مائل عن ماذا؟ عن الشرك، أي شرك؟ الشرك الأكبر والشرك الأصغر، الشرك في الأفعال، والشرك في الأقوال، والشرك في النيات والإرادات، فكل هذا واجب على كل مسلم، قال: "ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة

الإسلام"، الإسلام هو التوحيد، وهو إسلام الوجه لله تعالى، {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، فالالتفات في العبادات إلى الغير ومراعاة الناس، وفعل العبادة من أجل إعجاب الناس بالعامل، شرك وهذا لا يقبل الله ﷻ منه، الله ﷻ يقول: {بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ}، فالإسلام هنا هو التوحيد، كما أن قوله تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} هو إسلام الوجه لله سبحانه وهو التوحيد، فجميع الأنبياء إخوان، كلهم يدعوا إلى توحيد الله، ﷻ أسلم وجهه لله وهو مخلص، وهو محسن متبع، ليس عنده شرك، ليس عنده ابتداع، هو محسن متبع للسنة ، "أسلم وجهه لله" الإخلاص، "وهو محسن " بعيد عن البدع، هو محسن متبع لسنة النبي ﷺ، هذا هو الإسلام هذه هي الطاعة التي يحبها الله ﷻ، قال: "فاستمسك بهذا الأصل وردّ ما أحدثه المبتدعة والمشركين إليه"، المشركون والمبتدعة لهم شُبه، لا تلتفت لشبههم واحرص على الأصل، والركن الركين والشيء الثابت في الدين، والتي تواطأت عليه النصوص الشرعية من الإخلاص، والاتباع، ولا تلتفت لهؤلاء ولا تلق إلى قلبك شبههم، فالموفق لا ينشغل بسماع الشُبه، كان هناك معتزلي وإمام كبير من أئمتهم اسمه: عمرو بن عبيد ،كان إذا دخل وكان في المجلس الحسن البصري، وأيوب السختياني، والأئمة الكبار، فبدأ يتكلم، فيضعون أصابعهم في آذانهم، فيقول عمرو بن عبيد لأيوب: أريد أتكلم معك كلمة، فيضع يديه ويقول: ولا نصف كلمة، لا أسمع لك، والنبي ﷺ يقول: "من سمع منكم بالدجال فلينأ إلى الجبال، فإنه ربما يتبعه مما يثيره من الشبهات"، لا تجعل قلبك ولا أذنك لتسمع كلام أهل البدع، ابتعد عنهم، ينجيك الله تعالى منهم، هنا المؤلف يقول: "فاستمسك بهذا الأصل" لأن الطاعة تحتاج إلى إخلاص، وتحتاج إلى اتباع، قال: "وردّ ما أخرجه المبتدعة والمشركون"، لهم شبه وعلوم فاسدة يدلسون بها على الناس، لا تسمعوا لهم، -والله يا إخوة أنا العبد الضعيف أسمع أحياناً ببعض الشُبه حتى أرفعها عن نفسي وحتى إن تكلمت أتكلم بعلم، أحتاج أحياناً إلى مدة طويلة من الساعات في مكتبتي حتى أرفع هذه الشبهة، فتخيل رجل

أرخى قلبه لأصحاب الشبهات، وبدأ القلب يمتلئ بالشبهات، فهذه الشبهات لابد أن يكون لها أثر، ولو في لحظات النزع، يقول الإمام ابن القيم: "أوصاني شيخي ابن تيمية -رحمه الله- قال: اجعل قلبك كالمرآة ولا تجعلها كالإسفنجة، فإن المرآة إذا وقعت عليها الشبهة عكستها، وإن الإسفنجة إذا وقعت عليها الشبهة مصّتها، ولابد لمن امتلئ قلبه بالشبهات أن يظهر أثر ذلك ولو عند النزع"، طبياً معلوم أن الأحسن من الدواء أن تبتعد عن الداء، وحتى تحفظ قلبك من أهل البدع ومن الرياء، وأن يبقى عملك ليتقبل الله لك، وأنت من المتقين، وأن تسلم لله وجهك وأنت محسن، هذا بحاجة إلى إخلاص وبحاجة إلى اتباع، يقول: "وردّ ما أخرجه المبتدعة"، جالسون على جنبتي الطريق ويرصدون كل أحد ليوقعوه في فخاخهم وفي شبهاتهم، فالواجب على كل مسلم في كل أمر أن يرد المشتبهات للمحكمات، ولتبقى الأصول صحيحة، وأن تبقى الأصول سليمة، وألا يرخي قلبه وسمعه للشبهات، فتيصبح والعياذ بالله تعالى لا يأبه باتباع النبي ﷺ، ولا يأبه سواء أخلص أو لم يخلص، نسأل الله ﷻ العفو والعافية.

قراءة الطالب: قال المصنف -رحمه الله-: "فإن قيل: المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى، وأنه -لعظمته- لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك، فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية، وإنما قصد تعظيمه وقال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، وإنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه وتدخل بي عليه، فهو الغاية، وهذه وسائل، فلِمَ كان هذا القدر موجباً لسخط الله تعالى وغضبه ومخلداً في النار، وموجباً لسفك دماء أصحابه، واستباحة حريمهم وأموالهم؟، وهل يجوز في العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط ؛ فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط؟، أم ذلك قبيح في الشرع والعقل، يمتنع أن تأتي به شريعةٌ من الشرائع؟، وما السِّر في كونه لا يُغفر من بين سائر الذنوب؟ كما قال تعالى:

شرح الشيخ مشهور بن سلمان

{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا}:

هذه شبهة يلقيها من يصرف عبادته لغير الله عز وجل، ويعتقد أن الشرك محصور في الإلحاد، وأن تنكر وجود الرب سبحانه، أو أن تلحد بأسمائه وصفاته، ولا يلتفت إلى أن الشرك يكون أيضا في العبادة والمعاملة، لا ينتبه لشرك الألوهية، الشر في الألوهية وفي العبادة، هذه الشبهة خلاصتها أن يقول القائل: "إن الذين يعبدون الأولياء والقبور والأضرحة والصالحين قصدهم تعظيم الله عز وجل، فالله عظيم، -هم يقولون هكذا، الله عظيم- ولا يصل إليه أحد مباشرة، إلا أن نتخذ شفعاء ووسطاء بينه وبين الله سبحانه وتعالى، فنحن نعبد هؤلاء كما كان يعبد الكفار قديماً، {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ}، فمن أجل عظمة الله نحن نعبد هؤلاء، فنحن لا نستحق أن نكون على صلة مباشرة مع الله"، يزخرفون هذه الحجج الواهية ويزينونها، وفي حقيقة أمرهم أنهم يجعلون الشرك تعظيماً لله، وفي حقيقة الأمر أن الشرك تنقُّص من حق الله عز وجل، هؤلاء المشركون يقولون كما ذكر الشارح: "المشرك قصد تعظيم جناب الله وأنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط"، وهذا يخالف قول الله عز وجل: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} الواجب علينا أن نخلص لله عز وجل، في دعائنا، {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}، لا واسطة مع الله، كل الأسئلة يكون النبي واسطة، أما الدعاء فلا يوجد شفعاء ولا وسطاء بين العبد وبين الله عز وجل، يقول المؤلف: "وإنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك" هذا القياس فاسد، أن تعامل أنك تريد أن تعبد الله وأن تدخل عليه في العبادة، كما تعامل الملوك، هذا من أفسد الفساد، لماذا القياس باطل؟ الملوك والرؤساء لا يعلمون أحوال الناس، علمهم ناقص، كيف علم الله مثلهم؟!! معاذ الله، والله يعلم الناس كلهم، يعلم الظاهر والباطن عند الناس، فإذا أردت أن تعبد الله لست بحاجة لوسيط، إذا أردت حاجة من ملك تحتاج لوسيط، والملك يراعي البسطاء، ويستجيب تحت إلحاحهم وإصرارهم، وشفاعتهم، وتعطيفهم، ويتأثر!،

أما الرب ﷻ ليس كذلك، فالله ليس بحاجة لأحد، إذا بقي الملوك لا يستجيبون لوزرائهم و كبرائهم عنده، يستغنون عنهم، إذا ما استجاب لهم بالكلية، فالله ليس بحاجة لأحد والله جل في علاه لا يخفى عليه أحد، فالله ليس بحاجة لشفعاء، اسمع قول الله ﷻ: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ}، نحن لا نصل إلى الله إلا بهؤلاء الشفعاء، يقول المؤلف: "هل يجوز في العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسطاء؟"، لا، هذا أمر منكر، والفطر تنكر ذلك، الفطرة الصحيحة تعلم أن الله ﷻ ليس بحاجة إلى الوسطاء والشفعاء، لأنه يعلم كل شيء، ولأنه ﷾ أرحم الراحمين، ولا يحتاج إلى أحد يجعله يعطف على الناس، وأن يؤثر عليه، هذا جاري في أحوال ملوك الدنيا، أما الله ﷻ يرحم عباده، والله ﷻ لا يريد بالناس إلا الخير والرحمة، ويريد منهم التوبة والاستغفار، فهو ليس كالملوك الذين يؤثر عليهم غيرهم ليعطفوا على الناس، فالله ﷻ يريد من الناس أن يتوبوا إليه، وهذا الشرك قبيح في الشرع والعقل، {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}، علم الله ناقص!! معاذ الله، قال: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}، نزه نفسه عما يشركون، جعله شركا، أن تجعل بينك وبين الله واسطة في العبادة وألا تتجه إلى الله مباشرة في العبادة، وأن تبحث عمن يشفع لك، وعمن تتخذه واسطة بينك وبين الله ﷻ، هذا جعله الله تعالى شركاً، وهذا واضح في قول الله: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، الكفار الذين يقولون بيننا وبين الله ﷾ شفعاء ماذا قال الله عنهم؟ كاذب، كفّار، فالله جعل هؤلاء الذين يريدون الوسائط بينهم وبين الله ﷻ وحكم عليهم بأنهم كذابون كفار، فقوله: "يمتنع أن تأتي به شريعة من الشرائع"، نعم لم تأت أي شريعة من الشرائع بالشرك بالله، الله جل في علاه نزّه الأنبياء جميعاً عن أن يشركوا به، وعن أن يتخذوا بينهم وبين الله ﷻ شركاء، ولذا لما ذكر هذه المقدمة

شرح الشيخ مشهور بن سلمان

وهذه الشبهة عالجها بتقسيم وتنويع الشرك، وأن الشرك ليس محصوراً في الجحد، وليس محصوراً في الكفر بالله وبأسمائه وصفاته، فقال: "قلنا الشرك شركان شرك متعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته" هذا النوع لهذه الشبهة كيف يعالج؟! أن الشرك ليس محصوراً بالإلحاد وبالله وبأسمائه وصفاته، إنما هو في الشرك الثاني، الشرك في عبادته.

التأصيل العقدي
بيان معتقد السلف